المبحث الثاني

**الثنائيات الضدّية الظاهرة وتجلياتها في النواحي الاجتماعية**

خلق الله تعالى الإنسان مُحباً للاختلاط والتآلف مع غيره من بني البشر ,فلا يمكن أن يعيش الإنسان السويّ وحده من دون رفقة وأنيس وبمعزل عن الآخر ، فالحياة الاجتماعية هي ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية لا يمكن تجاهلها ولا تجاوزها ، فالله تعالى عندما خلق الناس جعلهم متفاوتين في قدراتهم العقلية والبدنية مما جعلهم في حاجة بعضهم لبعضهم الآخر.

أما الحياة العربية, فتعدُّ القبيلة هي أساس الحياة الاجتماعية في المجتمع البدوي وهي عبارة عن أسرة كبيرة تتألف من ثلاث طبقات : أبناؤها وهم الذين يربط بينهم الدم والنسب وهم عمادها وقوامها, ثم العبيد وهم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية, وبعد ذلك الموالي وهم عتقاؤها ويدخل فيهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جنايتهم([[1]](#footnote-1)).

وكانت رابطة الدم أقوى من الرابطة القومية وأوضحها ، وقد عاش العربي في بيئة صحراوية قاسية مما أكسبته و غذّته من صفاتها مثل الخشونة والصلابة والقسوة, وإلى جانب ذلك أكسبته صفات حميدة مثل: الكرم والوفاء ,والمروءة والشجاعة فضلاً عن العديد من الصفات الإيجابية الأخرى ,وكذلك الصفات السلبية وهي صفات لا تخلو منها المجتمعات بصورة عامة فكانوا يجتمعون في جماعات أو قبائل , إذ لم يستطع الإنسان أنّ يعيش وحيدا بعيدا عن الآخرين , وذلك من أجل الاكتفاء وحصوله على من يؤنس وحشته, أما حياتهم الأسرية فلم تبتعد كثيرا عما هي عليه الآن الأسرة العربية , ومن أهم أدوات التواصل التي تقرب المجتمعات هي اللغة (( ولطالما كانت اللغة ؛وليدة الفكرة والعاطفة وأداة التواصل والتفاهم الاجتماعي فكان الاهتمام بها ضرورة من ضرورات الحياة فلولاها لانعدمت الصلة بين الإنسان ومجتمعه, وذلك لأن اللغة ولدت من أحضان المجتمع ولا تحيا الا بظله))  ([[2]](#footnote-2)).

ولهذا فإنَّ الأدب قد عبّر عن كل المجتمعات, فكان خير دليل لمعرفة طبيعة الحياة الاجتماعية عبره ,وبفضله وصل الينا الشعر والنثر الذي مثل الحياة الاجتماعية بأدق تفاصيلها ,ولذلك فقد صورت لنا الأمثال عبر لغتها المعبرة عن الحياة الاجتماعية , وذلك لكون المثل ولد من نبض هذه الحياة فجاءت من نبض حياتهم لتخاطب الناس واختلاف مستوياتهم الثقافية والحضارية والمستويات الأخرى فضلاً عن - العلاقات ومواقف الحياة المتنوعة, فقد أسهمت في تكوين مصادر الأمثال, وسيتناول البحث ذلك عبر ذكر الثنائيات الضدية المتعلقة بالنواحي الاجتماعية للأمثال العربية لتظهر أمامنا مجموعة من الثنائيات الضدية في هذا الميدان و يمكن اجمالها بالآتي :-

أ-ثنائية الكرم و البخل.

ب- ثنائية العز و الذل.

ج- ثنائية الغنى والفقر.

1. ثنائية الكرم و البخل

الكرم هو((العطاء بسهولة ))([[3]](#footnote-3)), والكَريمُ مِنْ صِفاتِ اللهِ سبحانه وتعالى وأّسْمائِهِ الحسنى , وَهُوَ الكَثيِرُ الخَيرْ ,الجَوادُ المُعَطِي الَّذِي لا يَنْفَذُ عَطاؤُهٌ, والكَريمُ الجامِعُ لأَنْواعِ الخَيِرْ وَالشَّرفِ وَالفَضائِلِ([[4]](#footnote-4)).

ويطلق عليه أيضا السخاء أو السعة والكرم صفة أصيلة في النفس الإنسانية وهي تدلُّ على طيب النفس وهو ضد اللؤم والبخل, وأصل المحاسن كلِّها الكرم وتعد من أبرز صفات المجتمع العربي, وهي من أهم الجوانب الاجتماعية والاقتصادية التي انتشرت في البيئة العربية, لأنها تتداعى إلى الفخر والتباهي لذلك فهي أحدى القيم الإنسانية النبيلة الشائعة في المجتمع العربي .

وترتبط ثنائية الكرم والبخل بطبيعة الذات الإنسانية, فهناك أشخاص مجبولون على الكرم وأشخاص ولد بعضهم ونشأ والبخلُ والشحُ معهم, أما البخل فهو ما كان ضد الكرم وهو الضنُّ بما عندك وأصله مشقة العطاء, وهو أيضا إمساك المقنيات عما لا يحقّ حبسها عنه وله الكثير من الألفاظ التي تؤدي هذا المعنى منها: الشح, والضنّ ,والتقتير...الخ  ([[5]](#footnote-5)).

ويمثل البخل الشكل السلبي المُظلم في الحياة العربية في مختلف عصورها التاريخية والأدبية على حدِّ سواء, وكانت هذه القيمة قد تجلى ظهورها في النصوص الأدبية الشعرية والنثرية, وبهذا فإنَّ ثنائية الكرم والبخل ثنائية ضدّية يتعلق كلّ طرف منها بقيمة إنسانية تتقاطع تقاطعاً تاماً مع الأخرى , فواحدة تمثل جانباً إيجابياً وأخرى تمثل جانباً سلبياً , والأمثال العربية صوَّرت البخل ومقته وبالمقابل حدثتنا عن تعلق العرب بالكرم لأصالة الكرم في نفوسهم وشيوعها بينهم ,فهذا التركيب الثنائي للمثل يتيح تقديم جمل متعارضة ودلالات متباينة ومفارقات جلية في المثل ذاته إذ نجد المثل يقدم الفكرة ويقدم تعليلها ومن هذه الثنائيات قولهم :-

((الكَرَمُ فِطْنةٌ واللؤْمُ تَغافُل)) ([[6]](#footnote-6)).

الكريم دوما فطن لا ينتظر السائل ليسأل فهو يقي السائلُ ذلَّ السؤال فيعرف بفطنته من لحن قول المحتاج المتعفف أنه محتاج للعطاء فهيئة القادم وحاله يدلان على أنه محتاج أو غير محتاج فلا ينظر مباشرة, أمّا اللؤم فهو تغافل عن حاجة السائل وتجاهل لهيئته وحاله وهي أبلغ درجات البخل لأنه مع الطلب ونطق الحال بلسان صاحبه كأن لم يسمع ولم يرَ ,وقد شكّل المثل أمراً معنوياً نفسياً عبر قرائن لفظية تدل على الكرم والبخل, حيث التغافل هو تعمد الغفلة وتكلفها مع العلم والإدراك لما يتغافل عنه, أما الفطنة فهي المهارة والتنبّهُ للأمر و(الفطنة والتغافل ) مرتبطان بالذات الإنسانية ,فهي تصدر عن وعي الشخص لما يفعله , يميل النص إلى معالجة صراع بين المتضادات (الكرم و البخل),فهو يعبر عن العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في ضوء ثنائية الكرم ضد البخل, إذ ربط الكرم بالفطنة والفهم والإدراك ,أما اللؤم فقد ربط بالغفلة, وبهذا تأكيد للصفة السلبية للبخل ومحاولة لتنفيرهم منه وهو بهذا يريد تحبيب صفة الكرم لدى الناس وشيوع القيم الاجتماعية العليا .

ومن النماذج الأخرى التي جسدت ثنائية الكرم والبخل قولهم:-

(( يَغْلِبْنَ الكِرَامَ وَيَغْلِبُهُنَّ اللِّئامُ )) ([[7]](#footnote-7)).

قول لمعاوية ويقصد به النساء([[8]](#footnote-8))

وقصة المثل تدور في قول صعصعة لمعاوية: كيف ننسبك إلى العقل , وقد غلب عليك نصف إنسان ؟!, يريد غلبة امرأته فاختة بنت قرظة عليه , فقال معاوية هذا المثل([[9]](#footnote-9)) , الغاية فيه التعبير عن مدى دهاء المرأة وذكائها و قدرتها على الرجال, بُني المثل على مرتكزات متضادة ,ففيه ثنائيات ضدية متعددة منها (الكرم ضد البخل) ثنائية متضادة فعالة مثلت بؤرة لكلّ ما يترتب عليها من مواقف كالمواقف النفسية أو الاجتماعية, وكان لفعل التكرار, فضلاً عن التضاد بين(الكرام ضد اللئام) أثر في الحصول على دلالة المثل, فهو بهذا يكشف عن دهاء المرأة وقدرتها على هزم الرجال الكرام , وهنا تظهر قيمة الثنائية عبر بيان مدى بخل اللئيم ,والثنائية الضدية تمثل حالة اجتماعية واقعية موجودة في كلّ زمان وفي كلِّ مكان, فهي خصت كلا الجنسين , فكل منهما غالب في موقف محدد وهو الكرم واللؤم ,فالمثل عبَّر عن ثقافة مجتمع جعلت ما بين الرجل والمرأة موقفاَ ضدياً, إذ ليس من الطبيعي أن تغلب المرأة الرجل, وخصوصا في مجتمع فحولي حيث يكون الرجل هو الغالب دائما ,ولهذا فعند العودة لدلالات المثل سنجد أنّ للمثل وجوهاً عدة يكمن تفسيرها عبر الثنائيات التي حملت دلالات متعددة ,هي كابراز الجانب الإيجابي للنساء وذلك ببيان قدرتهن, وأما الوجه الآخر فيحمل خطاباً للعنصر الذكوري بالحذر من النساء خوفا من الفتنة وبهذا فقد كشف المثل عن جانب حياتي عقلي موجود في مجتمعنا على مرّ العصور, فضلاً عن الأصل من القصة حيث أراد قائل المثل إسكات من اعاب عليه أن امرأة غلبته فقال هذا المثل حيث لجأ إلى إجراء هذه المقابلة المكتنزة بالرمزية للرد عليه بين كلّ من اللئام والكرام, وكان الغرض من ذلك إسكاته , وبهذا فهو قد هزم من أعاب عليه هذا الأمر.

ومن النماذج التي تشير إلى هذه الثنائية التي نسبها الميداني إلى المولدين :-

**((لا تَسُبَّ أُمِّي الَّلئيمَةَ فَأَسُب أَمَّكَ آلكَريَمةَ )) ([[10]](#footnote-10)).**

المثل يقوم على ثنائيات ضدّية متعددة تحققت بين ضمير المتكلم وضمير المخاطب وتقدير الضمائر لا تسبَّ أنت أمي فأسب أنا أمك الكريمة, فضمائر المتكلم هي الياء في أمي أنا ,وضمير المخاطب هي الكافٍ في أمك أنت, فقد وظفت هذه الضمائر لتحذير المخاطب مما يَمَسُّهُ المتكلم من أذى باللسان ,ونلاحظ ثنائية أخرى بين قدرين ,قدر أم المتكلم الوضيع , وقدر أم المخاطب الرفيع الناتج عن الكرم واللؤم ,لكلٍّ منهما , ففعل السباب لن يزيد أمّ المتكلم وضاعة فهي وضيعة في الأصل وليس لدية شيء يخسره ,بخلاف المخاطب الذي سيخسرُ الكثير ,لأنَّ أمّه رفيعة المنزلة, فالمتكلم ينهي و يحضّ المخاطب على هذا الفعل حتى لا يسيء إلى أمّه الكريمة, وفي ذلك خسارة لمنزلة أمه ومكانتها , فدلالة هذا المثلُ تتمثل في الابتعاد عن السبِّ وذكر الآخرين بالسوء, فاذا تعرضت لشخص بالسبّ , فسيردُّ عليك السبّ ايضاً, وهذا أمر يُثير الأحقاد وإلى جانب أنه مذموم من كلِّ وجه، فإنه يُعَدّ سبباً للفرقة والبغض لذلك وجِّه بحفظ اللسان، والحرص على صيانته عن البذاءة، ولا سيما السباب والشتم والذي يُعَدُّ أحد أكبر القبائح والرذائل، والتي تتنافى وأخلاقُ الإسلام من كلّ وجه؛ وفي المثل توجيه أخلاقي اجتماعي يُسهم في حلّ إحدى المشكلات الاجتماعية والنهي عنه, لأنها تثير الأحقاد بين الناس , وقد وجّه القران الكريم هذه الحالة وقوَّمها ونهى عنها حتى مع الكفار, لئلا يكونَ ذريعة لهم لسبّ الله عز وجل وفي المثل قيمٌ أخلاقية اجتماعية لتقويم المجتمع والتخلص من العادات السيئة وقد ذكر في كتاب الله عزَّ وجلَّ**{ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ([[11]](#footnote-11)).**

يعكس المثل جانباً مهماً يشير إلى تأثير القيم الدينية على المجتمع العربي بعينه, ويعكس جانباً من حياة العرب برزت في أمثالهم.

**ب - ثنائية العز و الذُّل**

الْعِزُّة في الأصل اللغوي القوة والشدّة والروعة والامتناع ([[12]](#footnote-12)) ,والذُلُّ نَقِيضُ الْعِزِّ فهو الانكسار والضعف([[13]](#footnote-13)), والذُلُّ والعز كلاهما شعور, لكن أحداهما يضاد الآخر ويناقضه , يشعر به الإنسان في مواقف اجتماعية معينة ,واتسمت الحياة الاجتماعية بمجموعة من السمات منها المقبولة ومنها المرفوضة, فالعربي عاش في الصحراء القاحلة طبعته واعطته من قساوتها وخشونتها ,ومن الصفات التي حبذوها هي القوة ومن الصفات المنبوذة فهي الذلة (( وأبرزت الأمثال العربية ظاهرة العزّة والذلة في هذا المجتمع وانطوت على كثير من أسبابها ومظاهرها)) ([[14]](#footnote-14)).

**ومن أمثلة ذلك قولهم :-**

**((مَوْتٌ فِي فُوتٍ وعِزِّ أصْلَحُ مِنْ حَياةٍ فِي ذُلِّ وعجزِ)) ([[15]](#footnote-15)).**

يقوم المثل على صورتين متناقضتين : الأولى الموت بعِزٍّ, ونقيضها الحياة بِذُلٍّ, فالنفس الحرة تحب الحياة بعزّة, لكن في حال تعذِّر الجمع بينهما, تقود النفس الحرة إلى اختيار الموت عزيزاً, يحمل المثل وجهاً من أوجه المفاضلة وهو تفضيل الموت على الحياة, وهذا ما يكون نادراً, لأنَّ الإنسان بطبيعته محبٌّ للحياة ,ولكن في هذا الأُنموذج وجُهُ المفاضلة يحملُ دلالة أخرى وهي تفضيل الموت في قوّة وعزّ على الحياة في عجزٍ وذُلّ , والغاية من هذه المقابلة تحقيق القيم الاجتماعية المتوخاة, وهو بهذا يحمل جانباً تربوياً اجتماعياً لإحياء القيم الإيجابية من أجل إشاعتها في المجتمع حتى وإنْ كان اختيار الموت هو الدافع لهذه القيم ونبذ القيم السلبية ,ويبدو أنّ الثنائية المتضادة (الذلّة والعزّة) قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بثنائية (الموت ضد الحياة) عبر توحِّد الطرف الأول والثاني للثنائيتين وتداخلهما معا وهما (العزة والموت) في حين نجدُ الطرف الثاني والأول من الثنائيتين وهما (الذلة والحياة) يتفاوتان فيزيد الطرف الأول على الآخر من حيث الإيغال في المهانة والذلة, فقد تشكّلت الثنائية عبر تقابل الألفاظ في(موت ,فوت ,وعز) , ضد (حياة ,ذل, عجز) والثنائية تعبّر عن جدارة الموت على الحياة فهو تفضيل للموت في قوّة وعزّ على حياة بعجز وذل, والقيمة الجمالية تظهر عبر ظهور الموت والعزِّ واختفاء الحياة والذل, وذلك لتصوير ما هو أفضل , إذ جعل الموت بعزٍّ بديلاً جميلاً عن الحياة بذلِّ .

**ومن الثنائيات التي جسدت العز والذل قولهم:-**

**(( رُبَّ عَزِيزٍ أَذَلَّهُ خُرْقُهُ وَذَلِيلِ أَعَزَّهُ خُلُقُهُ)) ([[16]](#footnote-16)).**

في هذا المثل إشارة إلى تغيِّر الأحوال, فكم من عزيز أصبح ذليلاً وكم من ذليل أصبح عزيزاً , فلا شيءَ يبقى على حاله وإنما الحياة في تغيِّر مستمر ولهذا انفتح النص على قيمة فنيّة نابعة من تلك القيمة الاجتماعية التي تمثل تجربة حياتية, جاءت على نحو أشبه بالوصية , وقد أدت المتضادات أثرها في تدوير المعنى وإظهار الدلالة على نحو أشبعَ نصَّ المثل بكلّ مقوماته الفنية فهو خطاب صريح قد تكون أسباب الذلة شيئاً بسيطاً لذلك ينبغي ألاّ يُستهاَن بالأمور الصغيرة ,إنّما أن يضعَ لكل أمر حجُمه ولكل شخص مكانَته, والتراكيب المتضادة في المثل وقعت بين (عزيز وذليل)(أذلَّه واعزّة) , فقد تلازمت كلٌّ من (عزيز أذله) و(ذليل أعزه) فاتضحت القيمة الجمالية للمثل عبر استعمال المتضادات , وذلك للوصول إلى الغاية المبتغاة, فالثنائية الضدية عبّرت في هذا المثل عن محمول دلالي كبير ففي كل طرف من أطراف الثنائية أنطوى على أبعاد نفسية اجتماعية جاءت عبر المعاني المباشرة للألفاظ التي تألَّف منها المثل لذلك أوجب الحذر من أبسط الأمور التي قد تذلُّ الشخص والدعوة إلى التمسك بالخلق النبيل الذي يجلب العزّة والكرامة.

ومن أمثلة ذلك قولهم:-

**(( كَانَ كُراَعاً فَصاَرَ ذِرَاعاً )) ([[17]](#footnote-17)).**

الذراع: من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى([[18]](#footnote-18)), أما الكراع :مادون الركبة الى الكعب([[19]](#footnote-19)).

**((** يُضرب للذَّلِيل الضَّعِيف صارَ عزيزاً قويّاً, وهذا المَثَلُ يُرْوَى عن أبي موسى الأشعَرِيّ, قالَه في بعض القبائل **))** ([[20]](#footnote-20)), معنى المثل يُظهر لنا صورة واضحة عن الثنائية, حيث ارتبطت ألفاظ المثل بقصته ,فجاءت كلمة (كراعا) للشخص الذليل , وارتبطت كلمة( ذراعا) بالشخص العزيز, صيغ المثل بأسلوب خبري الغاية من استعماله يوحي إلى المستقبل, فدلالة لفظة (صار) غيرت حال الشخص من الضعف إلى القوة , فالمثل يحمل دلالة للزمن الماضي والحاضر الذي صار عليه الشخص, و في المثل ثنائية ضدية بين (كراعاً ضد ذراعاً) وهي بهذا مثلت الذلة والعزة عن طريق استعمال قرائن لفظية دالة على معنى القوة والذلة , فقد عبرت الثنائية عن تغيّر الحال ولا دوام على حال في هذه الحياة ,إذ يحمل المثل كُلاً من الصورتين او الدلالتين (المدح والذم) ليبين مدى الصبر وتحمل الشخص إلى أن وصل إلى مرحلة العزّ, ويكون ذم الغاية من ذكر من كان كراعا أي ينتقص من قيمته مع ما وصل إليه الشخص ,أي ينظر إلى مكانته التي كان عليها وفيها وجه آخر هو النصح والإرشاد بان حال الدنيا في تغيِّر دائم وهي في معظم صورها تعكس دلالة اجتماعية واحدة .

ومن النماذج التي مثلت ثنائية العزّ والذلّ قولهم :-

**((تَحِـــــتقُرُه وَيَنْتــــــأ)) ([[21]](#footnote-21)).**

أي تحتقره ويرتفع ليأخذ ما ليس له , يضرب مثلا للرجل تستصغره وهو يعظم ولم يعرف أصله ([[22]](#footnote-22)), المثل فقير لكن دلالاته ثرية فهي تتحدث عن تجربة انسانية ,اجتماعية.

وبناء تركيب الثنائية الضدّية تكشف عن ثنائية ضدية سياقية أطرافها مرتبطة بقرائن لفظية تدلّ عليها وهي (تحتقره ضد ينتأ) ,وهو بهذا يكشف عن ثنائية ضدية في شخص , الغاية منها هو الحذر من الذي لا تتوقع أو تستصغره ولا تتوقع منه المضرَّة ,لأن الشخص بطبيعته متغيّر ,والمثل يحمل التوجيه والإرشاد وذلك لأخذ الحذر وعدم استصغار الأمور .

**ج-ثنائية الغنى والفقر**

وهي من الثنائيات الضدية الشائعة في المجتمع العربي منذ القدم ,والفقر هو **((**الحاجَةُ وفَعله الافِتقارُ وَالنَّعْتُ فَقِيرٌ**))** ([[23]](#footnote-23)) , والله سبحانه وتعالى جعل الفقر عامة في الناس في قوله:-**{** **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** **}** ([[24]](#footnote-24)). والغنى هو الاستغناء وقد جاء في لسان العرب **((** أَغنَى اللهُ الَّرجُلَ, أَيْ صارَ لَهُ مالٌ**))** ([[25]](#footnote-25)), والفُقْرُ ضِدُّ الغِنَى, والغنيُّ هو الله سبحانه وتعالى وهو لا يحتاجُ إِلىَ أَحدِ فقد قال تعالى**{ وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ }** ([[26]](#footnote-26)).

والفقر والغنى معنيان متضادان وأسباب الفقر والغنى غامضة ,تأتي من الغيب ومساعي الإنسان تؤثر في نيله إلى النعمة والرخاء, وكل من الغنى والفقر ينصبان تحت المال , فالمال هو المعوَّل الوحيد على أن يذكر هذا الرجل غنيا أو فقيرا, ((وعاش العرب كما عاش غيرهم متفاوتي الغنى والفقر ولكن الفقر كان أكثر شمولا واوسع دائرة)) ([[27]](#footnote-27)), وقد رصدت الأمثال هذا الجانب الاجتماعي وذلك لأن مرد الأمثال بأنها ولدت من نبض الحياة الاجتماعية والمتضادات الكثيرة لما يحمله من دلالة فنية ساعدت على إيصال الفكرة المتوخاة من المثل, ومن أمثلة ذلك قولهم:-

**((غِنَى المَرْءِ فِي الغُرْبَةِ وَطَنُ وَفْقْرُهُ فِي الوَطَنِ غُرْبَةٌ)) ([[28]](#footnote-28)).**

نستخلص فكرة المثل أنَّ الوطن الحقيقي للإنسان ليس هو تشبيه بأرض خاصة يتخذها سكنا, بل الوطن هو ما يحقق للشخصية ويُمكنها من تحصيل الرزق الذي تعتمد عليه في استمرار ممارستها للحياة العبادية للإنسان, وإلا فإنَّ الوطن لا يتحدد في المفهوم الجغرافي , وفي المثل صورة تمثيلية لمفهوم الوطن هو الغنى والفقر فحيثما يتحقق الغنى يتحقق الوطن, فقد جعل كلاً منهما ملازماً للآخر واينما عم الفقر للإنسان فلا وطن له ,ويكمن جمال المثل في الثنائية الضدية (الغنى في الغربة وطن)و(الفقر في الوطن غربة )وهاتان صورتان تمثيليتان تنطويان على أسرار بلاغية فائقة ,ونص المثل عبارة عن موجة من الثنائيات الضدية (غنى ضد فقر)(غربة ضد وطن) حيث نلاحظ الصراع المكاني واضحاً بين الغربة والوطن, حيث ربط بين كلٍّ من الغربة والوطن بالغنى, والفقر , فأصبحت كمعادلة الغنى مع الوطن والغربة مع الفقر فقد مثَّل جانباً نفسياً نسبياً, لأنَّ الغنى قد يتحقق في جميع بقاع الأرض وقد يصبح وطن المرء غير وطنه الأصلي لما يجده من سعة في العيش .

ومن النماذج التي جسدت ثنائية الغنى والفقر قولهم :-

**((أَسَرُّ مِنْ غِنىَ بَعْدَ عُدْمٍ وبُرْءٍ بَعْدَ سُقْمٍ)) ([[29]](#footnote-29)) .**

أحوال الناس بفقرها وغناها تتعاقب فقد يحدث الغنى بعد الفقر, وقد يبرء المريض بعد السقم وهذا هو القصد من المثل, فقد جسد المثل تعاقب الأحداث ونسبة هذا التعاقب إلى الدهر, وقدرته على فنائها وسحقها ,وقد جاء صاحب المثل بالثنائيات الضدية لإظهار مراميه وأغراضه التي يتولد منها تضاد من حيث التركيب ,وذلك لبيان حال الدهر أنه في تغير مستمر أي ما أسرع تغير الأحوال مما يلحظ أنَّ الصراع الزمني في المثل واضح, وذلك لأنّ الزمن مسؤول عن تغيّر الحال من غنى إلى فقر ومن فقر إلى غنى , والنص يكشف عن ثنائيات ضدية وهي(غنى ضد فقر) و(برء ضد سقم) , فارتبطت دلالة السقم بالفقر ودلالة برء بالغنى فهنا تصوير وتجسيد لكلِّ من الغنى والفقر في المثل , والغاية من الثنائية بثُّ الأمل في النفوس, وتوجيه سلوك المجتمع , وبيان الجانب الاجتماعي في ضوء توضيح الصراع مع الزمن, فحال الدهر ليس بثابت إنما في تغيُّر, فيربط الثنائية بأكثر من اتجاه وطرف فتارة ترتبط القضية بالفكر, وتارة بالحالة المادية.

**ومن أمثلة ذلك قولهم:-**

**(( خَيْر الغِنَى القُنُوعُ وَشرٌ الفَقْرِ الخضوع)) ([[30]](#footnote-30))**

**((** قاله أَوْس بن حارثة لابنه مالك, قالوا: يُرَاد بالقُنُوع القَنَاعة , والصحِيح أَن القُنُوع السؤَال والتذلُّل للمسألة, يقال: قَنَع- بالفتح - يَقْنَعُ قُنُوعا, قال الشَّماخ :

**لَمالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغنِى مَفــاَقِرَه أعَفُّ مـِنَ الْقُنُوعِ([[31]](#footnote-31))**

يغني من مَسألة النَّاس, وقال بعض أهل العِلم القُنُوعُ يكون بمعنى الرِّضا ,وأنشد:-

**وقاَلُوا قد زُهِيتَ فقلْتُ كَلَّا وَلكنِّـــــــــى أعَزَّنــــيَ القُنُــــــوعُ**

والقانع: الراضي , قال لبيد:

**فمنهم سَعِيدٌ آخِذٌ بنَصِيبه ومنْهُمْ شَقِيٌّ بالمعيشة قاَنِعُ ([[32]](#footnote-32))**

قال: ويجوزُ أنَّ السائل سُميَ قانعاً لأنه يرضَى بما يُعْطَى قلّ أو كثُرَ, فيكون معنى القناعة والقنوع راجعاً الى الرضا**))** ([[33]](#footnote-33)).

يكشف لنا بناء المثل عن ثنائيات ضدية هي (الغنى ضد الفقر) و(العز ضد الذل) و(الحرية ضد العبودية) حيث صوَّر حالة الصراع الشاق بين عقبتين حقيقتين ,تمثلت الأولى بالرضا والقنوع بالقليل , حيث كان القصد من الغنى الرضا بالقليل والاستغناء, حيث أرتبط الغنى بالشخص وبطبيعته الفكرية ,إما الجانب الآخر المتمثل بالفقر وآثاره المتمثلة بعدم حصوله على المكانة السامية أو الحصول على مكانة تطمئن لها النفس , فهو بهذا يقنع بالقليل الذي يكون مصاحباً للكرامة على الكثير الذي يذله ,فثنائية (الغنى ضد الفقر) كان لها ارتباط وثيق بثنائية خفيَّة هي (العزّ والذُلّ),وذلك عبر استعمال قرائن لفظية تدل على ذلك وهي القنوع التي تدلّ على (العزة) , والخضوع التي تدل على (الذل), فالثنائية كانت بين طرفين الأول (خير الغنى القنوع) والثاني(شر الفقر الخضوع ) والمقصود به الطرف الثاني أسوأ شيء , ولذلك وصفها الطرف الأول (بخير )وهو الغنى.

**من النماذج التي أوردها الميداني قوله:**

**(( صَارَتْ ثُرَيَّا وهْيَ عُودٌ أَقْشَرٌ )) ([[34]](#footnote-34)).**

((الثرية والثرياء : الارض الندية , ومال ثرى: أي كثير, ورجل ثروان وامرأة

ثَرْوَى إذا كَثُرَ مالها, وثُرَيَّا : تصغير ثَرْوَى, والأقشر: الأحمر الذي نُزِع قشره**))** ([[35]](#footnote-35)).

يضرب المثل لمن حسنت حالته بعد فقر , وكثر مادحوه بعد ذم , كأنّه يكشف المثل عن وجود ثنائية متضادة بين(ثريا, عود أقشر) توحي بتناغم النفوس مع حدث التحّول والتغيّر فاستعمال كلمة (صارت)الغاية منها التحويل وتغيِّر الأحوال عبر ذكر الفاظ تدل على هذه الثنائية ,إذ ذكر ثُريّا بمعنى كثرة المال والغنى, وعود أقشر هو الفقر وهو العود الذي نزع قشره ولم يبق لدية شيء, ودلت على تعاقب الأحداث وتغيّر الأحوال فهي بهذا مثلت صراعاً عبر الزمن حيث يكون قادراً على تغيّر الأحوال, ويكشف المثل عن تجربة اجتماعية, مرتبطة بجانبين الاول: المدح, وربما يراد بذلك حث النفس على التغيّر من حالها عبر ضرب هذا المثل واعطاء صورة عن الغنى بعد الفقر.

نستنتج مما سبق أنَّ الثنائيات التي تخصُّ الحياة الاجتماعية كان لها أثر في ترسيخ القيم العليا التي تخصّ المجتمع ,وذلك عبر استحضار النقيض الذي بدوره يبرِّز الصورة الجمالية للصفة الجيدة عبر تقدم الفكرة وتقدم تعليلها.

1. ) ينظر, تاريخ الادب العربي العصر الجاهلي, د. شوقي ضيف: 67 ,دار المعارف, القاهرة ,ط11,د.ت. [↑](#footnote-ref-1)
2. ) الوظيفة التأثيرية للحيوان في المثل العربي(كتاب جمهرة الامثال انموذجاً ) شيماء ابراهيم راضي/عامر صلال الحسناوي: 100 (بحث) ، مجلة اوروك- جامعة المثنى, ع4, م8, س2015.

   [↑](#footnote-ref-2)
3. )معجم التعريفات: 123. [↑](#footnote-ref-3)
4. )ينظر, لسان العرب : مادة كرم. [↑](#footnote-ref-4)
5. )ينظر, مجمع البيان في تفسير القران , أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي( ت 548):3/84, دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت – لبنان ,ط1, 2006. [↑](#footnote-ref-5)
6. ) مجمع الأمثال: 3/ 79. [↑](#footnote-ref-6)
7. )المصدر نفسه:3/541. [↑](#footnote-ref-7)
8. ) ينظر , العقد الفريد, احمد بن محمد بن عبد ربة الاندلسي , تحقيق مفيد محمد قميحة:3/ 41 , دار الكتب, بيروت, ط1, 1983. [↑](#footnote-ref-8)
9. ) ينظر, كتاب طبائع النساء, احمد بن محمد بن عبد ربة الاندلسي تحقيق: محمد إبراهيم سليم: 53, مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع, القاهرة, د.ط , د.ت. [↑](#footnote-ref-9)
10. )مجمع الأمثال : 3 / 235. [↑](#footnote-ref-10)
11. ) سورة الأنعام :108. [↑](#footnote-ref-11)
12. )ينظر: لسان العرب: مادة عزز. [↑](#footnote-ref-12)
13. )ينظر:المصدر نفسه :مادة ذل . [↑](#footnote-ref-13)
14. 1) الأمثال العربية دراسة تحليلية تاريخية, د. عبد المجيد قطامش : 318، دار المأمون للتراث، دمشق،(من التراث الإسلامي- الكتاب السابع),د.ط, 1400هـ-1980م. [↑](#footnote-ref-14)
15. 2) مجمع الأمثال: 3/ 343. [↑](#footnote-ref-15)
16. 3) المصدر نفسه :2/ 65. [↑](#footnote-ref-16)
17. ) مجمع الأمثال: 3/3. [↑](#footnote-ref-17)
18. ) لسان العرب مادة ذراع. [↑](#footnote-ref-18)
19. ) المصدر نفسه :مادة كراع. [↑](#footnote-ref-19)
20. ) مجمع الأمثال:3/3. [↑](#footnote-ref-20)
21. ) مجمع الأمثال: 1/221. [↑](#footnote-ref-21)
22. ) ينظر, المصدر نفسه: 1/221. [↑](#footnote-ref-22)
23. ) لسان العرب مادة: فقر. [↑](#footnote-ref-23)
24. ) فاطر :15. [↑](#footnote-ref-24)
25. ) لسان العرب مادة: غنى. [↑](#footnote-ref-25)
26. ) التغابن:6. [↑](#footnote-ref-26)
27. ) الحياة العربية من الشعر الجاهلي:225. [↑](#footnote-ref-27)
28. )مجمع الأمثال: 2/ 433. [↑](#footnote-ref-28)
29. ) مجمع الأمثال :2/147 . [↑](#footnote-ref-29)
30. ) المصدر نفسه**:1/ 431.**  [↑](#footnote-ref-30)
31. ) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ,حققه وشرحه صلاح الدين الهادي: 221 , دار المعارف , مصر, د.ط , 1986. [↑](#footnote-ref-31)
32. ) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ,حققه وقدم له الدكتور أحسان عباس: 170,حققه وقدم له الدكتور احسان عباس, مطبعة حكومة الكويت, الكويت, ط2 ,1984 . [↑](#footnote-ref-32)
33. ) مجمع الأمثال:1/431. [↑](#footnote-ref-33)
34. ) المصدر نفسه:2/ 237. [↑](#footnote-ref-34)
35. ) المصدر نفسه:237. [↑](#footnote-ref-35)